

الشيعة الكوفيون

١ تأسس التشيع في الكوفة منذ الصدر الأول من تاريخ الإسلام وكانت القبائل العربية اليمانية والحضرية جاؤوا إلى هذه المنطقة أثر حركة الفتح فسكنوها سنة ١٧هـ، وكان الكثير من هذه القبائل يحمل حب علي عليه السلام بسبب إسلامهم على يده في اليمن حين أرسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى تشيع والاعتقاد بإمامته عليه السلام عند أكثر سكنتها يوم هاجر عليه السلام وشهدوا آيات ذلك.

٢ وقد تحرك بعض رجال تلك القبائل في عهد عثمان للمطالبة بالعدل في الرعية وإخراج الولاة السوء من بني أمية الذين أسأوا التصرف وانحرفوا عن تعاليم الإسلام الحنيف، وبعد مقتل عثمان على يد الثوار بايعوا عليا عليه السلام مع المهاجرين والانصار وأخلصوا له النصر في حربه مع الناكثين (أصحاب الجمل) وبعد النصر الكبير في هذه الحرب قرر الامام علي عليه السلام الانتقال إلى الكوفة كما انتقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة واستقر فيها كما استقر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة، وقد شهد الكوفيون تجربة حكمه ومشروعه الاحيائي للسنة النبوية وانفتحوا على علومه وتربوا على خطبه وتؤكد التشيع عندهم أكثر. وبعد شهادته عليه السلام بايعوا الحسن عليه السلام ابنه دون تخلف الا ما عرف عن الخوارج والمتأففين.

٣ اضطلع شيعة الكوفة في ظل الهدنة التي عقدها الامام الحسن عليه السلام مع معاوية سنة ٤٠هـ بنشر احاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في علي واهل البيت عليه السلام وكذلك ما شاهدوه وعرفوه من سيرته عليه السلام في الرعية وعدله واستقامته وعلمه وتقواه في النصف الغربي من البلاد الإسلامية (الشام وما والاها). لكن سرعان ما ادرك معاوية ان الوضع لا يصب لصالحه فان الناس في الشام بدؤوا يفتحون على ثقافة الإسلام الاصيله وسوف يذهب كل ما بناه ادراج الرياح.

٤ غدر معاوية بالحسن عليه السلام بنقض الشروط فاغتاله، وأعلن سب علي عليه السلام والبراءة منه بصفته ملحدًا في الدين ووضع احاديثا قبيحة تبرر ذلك واحاديث أخرى في فضل الخلفاء وفضل نفسه وابنه يزيد، وامر بتلك الاحاديث المكتوبة ان تكتب وتعلم للصبيان من اجل يتربى جيل الشباب على بغض امير المؤمنين عليه السلام والبراءة منه.

٥ وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ان الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها الا أهل الكوفة». وقال عليه السلام: مخاطبا جماعة من أهل الكوفة: «أما إنه ليس بلد من البلدان أكثر محبا لنا من أهل الكوفة، إن الله هداكم لأمر جهله الناس، أحببتمونا وأبغضنا الناس، وصدقتمونا وكذبنا الناس، واتبعتمونا وخالفنا الناس، فجعل الله محياكم معيانا ومماتكم ممانتنا».

ثناء اهل البيت عليهم

١ قال الامام علي عليه السلام مخاطبا أهل الكوفة: «انتم الأنصار على الحق، والإخوان في الدين، والجنين يوم البأس، والبطانة دون الناس».

٢ وقال عليه السلام: «الكوفة كنز الإيمان وحجة الإسلام وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء، والذي نفسي بيده لينتصرن الله بأهلها في شرق الأرض وغربها كما انتصر بالحجاز».

٣ وقال عليه السلام: «وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة». وقال عليه السلام وهو بالكوفة: «ما أشد بلايا الكوفة لا تسبوا أهل الكوفة فوالله إن فيه لمصايب الهدى وأوتاد ذكر... والله ليدفن الله بهم جناح كفر لا ينجر أبدا، إن مكة حرم إبراهيم والمدينة حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والكوفة حرمي ما من مؤمن إلا وهو من أهل الكوفة أو هو لا ينزع إليها».

٤ عن حنان بن سدير عن أبيه قال: دخلت أنا وأبي وجدي وعمي حفاً بالمدينة فإذا رجل في بيت السليخ فقال لنا من القوم؟ فقلنا: من أهل العراق. فقال: وأي العراق؟ قلنا: كوفيون. فقال: «مرحبا بكم بأهل الكوفة أنتم الشعار دون الدثار» فسألنا عنه فإذا هو علي بن الحسين عليه السلام.

حقد الامويين عليهم

١ تبلور حقد معاوية على شيعة علي وبخاصة الكوفيون منهم حين لس منهم الوفاء والإخلاص الكبير لإمامهم علي بن ابي طالب عليه السلام حتى بعد شهادته، وادرك جيدا ان عليا عليه السلام لم يمتلك العقول فحسب بل امتلك القلوب والنفوس، قال معاوية لبعض الوفود العراقية التي زارت الشام في سنوات الصلح: «هيهات يا أهل العراق والله لوفاؤكم له بعد موته اعجب إلي من حكم له في حياته» ولمس أيضا من خلال لقاءاته المختلفة بهم ان مشروع علي عليه السلام الاحيائي للسنة النبوية اثر فيهم وصيرهم حملة للحديث والفقه والتفسير وأصحاب جراحة على قول الحق امام السلطان الجائر.

٢ وادرك جيدا في النصف الأول من سنوات الصلح من سنة ٤٠ إلى ٥٠هـ ان شيعة علي عليه السلام الكوفيون يشكلون التهديد الأكبر لكرسيه ومطامعه النبوية والسلطوية فهم الذين عول عليهم الحسن عليه السلام لإصلاح الانحراف الفكري والديني الذي دخل فيه اهل الشام وما والاها من البلاد بسبب السياسة الاعلامية الاموية التي كرس الكذب والبهتان إزاء تعاليم الإسلام الحقة ومقام علي عليه السلام الإلهي وتجربته الرائدة.

٣ ان الأسس التي قامت عليها الدولة الاموية وضعها معاوية وصارت الخط العام لجميع الامويين من بعده حتى سقوطهم: منها البراءة من علي عليه السلام ومنها جعل السلطة بالميراث في بني أمية ومنها ان طاعة الحاكم وان كان فاسقا فاجرا فهو من طاعة الله ومنها الحقد على شيعة علي عليه السلام ومركزهم الكوفة.

٤ قال المدائني كتب معاوية إلى ولاته: «أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب وأهل بيته». و «ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة». قال المدائني: «فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا عليه السلام ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته. وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضَمَّ إليه البصرة... فقتلهم تحت كل حجر ومدبر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسَمَّلَ العيون وصلبهم على جذوع النخل وطردهم وشَرَّدهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم».

حقد العباسيين عليهم

١ لم تستقر الأمور لبني أمية بعد قتل زيد بن علي فقد نشطت حركة المعارضة بقيادة بني هاشم وعقدوا مؤتمر الأبواء سنة ١٢٩هـ وبايعوا لمحمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بذي النفس الزكية، وكان ممن بايعه الجناح العباسي ولكن انشق عن بني هاشم في السر منذ سنة ١٠٠هـ وكان يعمل لصالحه الخاص، وقد وقع اختيار مؤسس الانشقاق محمد بن علي بن عبد الله بن عباس على اهل خراسان لمشروعه، قال: «لا أرى بلدا الا وهم يميلون الي غيرنا أما أهل الكوفة فميلهم إلى ولد علي بن أبي طالب واما أهل البصرة فعثمانية واما أهل الشام فسفيلية مروانية». وقدر لبني العباس ان يسقط حكم بني أمية على ايديهم بجيوش الخراسانيين وكان سوادهم من ذرية العراقيين المهجريين زمن زياد سنة ٥٠هـ.

٢ واحتكر العباسيون الحكم لأنفسهم وأداروا ظهرهم لمحمد بن عبد الله بن الحسن عليه السلام وفي أعناقهم بيعة له، واستطاع المنصور ان يخمد ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن المتني في المدينة ويقتل محمدا، وثار من بعده أخوة إبراهيم بالبصرة ونحو الكوفة والمنصور قد اعتصم بها. فأرسل إلى عمه عبد الله بن علي وكان محبوسا عنده ان هذا الرجل (أي إبراهيم) قد خرج فان كان عندك رأي فأشر به علينا؛ وكان ذا رأي عنده؛ فقال: «ارتحل الساعة حتى تأتي الكوفة فأجشم على أكبادهم فانهم شيعة أهل هذا البيت وأنصارهم ثم احففها بالمساح فمن خرج منها إلى وجه من الوجوه، أو آتاه من وجه من الوجوه، فاضرب عنقه».

٣ وخطب المنصور بعد مقتل إبراهيم قائلا: «يا أهل الكوفة عليكم لعنة الله وعلى بلد انتم فيه... سبئية خشبية قائل يقول: جاءت الملائكة وقائل يقول جاء جبريل... للعجب لبني أمية وصبرهم عليكم كيف لم يقتلوا مقاتلتكم ويسبوا ذراريكم ويخربوا منازلكم. أما والله يا أهل المدرة الخبيثة لنن بقيت لكم لأذنتكم».

٤ وفي سنة ١٤٨ قرر الخليفة العباسي ان يجعل مالك بن انس مرجعا فقيها للامة في قبال الامام الصادق عليه السلام الذي التف أهل العراق حوله وأخذوا بعلمه وفقهه. وبعث المنصور إلى مالك بن انس فقال له: ولأهل العراق قولا تعدوا فيه طورهم. فقال المنصور: أما أهل العراق فلست أقبل منهم صرفا ولا عدلا. وفي رواية ان مالك قال للمنصور: ان أهل العراق لا يرضون علمنا. فقال أبو جعفر يضرب عليه عامتهم بالسيف وتقطع عليه ظهورهم بالسياط.

تهم وافتراءات

١ التهمة الأولى: ان الشيعة الكوفيون ليسوا اتباع الامام علي عليه السلام بل هم اتباع عبد الله بن سبأ اليهودي الذي الب الناس على قتل عثمان وكان هدفه الطعن في الإسلام بالقول بوصية علي عليه السلام والرجعة! جوابها: أولا ان مصادر تاريخ المذاهب الإسلامية من كتاب مقالات الإسلاميين للأشعري إلى ابن خلدن في تاريخه وغيرها تجمع على ان الشيعة هم اتباع علي عليه السلام وبنيه. وانه انما قيل لهم شيعة لانهم شايعوا عليا عليه السلام ويقدمونه على سائر الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وثانيا ان المصدر الوحيد لهذه التهمة هو روايات سيف بن عمر التميمي الذي اجمع العلماء على كذبه وزندقته واختلافه للأحاديث وأن الطبري وابن الأثير وغيرهم لم يراعوا الأمانة حين تبناوا نشر هذه التهمة عن هذا الراوي الكذاب بغضا للشيعة وحقدا عليهم.

٢ التهمة الثانية: ان الشيعة الكوفيون هم الذين ارسلوا للإمام الحسين عليه السلام فيمن ارسل ولما جاء عليه خذلوه وخرجوا إليه وحاصروه فيمن حاصره وقتلوه مع أصحابه ولده وسبوا نساءه وانتهوا ثقله وان يزيد من ذلك بريء وانه حين وصله السبايا بكى وعنه وقال اني كنت ارضى بطاعتكم دون قتله وانه وذ الدفاع عنه ولو ببعض ولده. وانهم ندموا بعد ذلك وخرجوا للقتال ليكفروا عن ذنبهم وانهم بكوا عليه دموع التماسيح! جوابها: أولا ان إحصاء قادة الجيش والاسماء الوارد ذكرها فيمن شارك في جيش عمر ابن سعد يكذب هذه التهمة ويدحضها من الأساس فلا يوجد أي اسم من تلك الأسماء المذكورة عرف بالتشيع لعلي عليه السلام. وثانيا مصدر هذه التهمة هو روايات ابي مخنف الذي دون مقتله في ضوء السياسة الإعلامية لبني العباس في تطويق اتباع اهل البيت عليه السلام ومركزهم الكوفة. ومعظمها رواها عن مجاهيل ومناكير. وثالثا ان الروايات الواردة عن اهل البيت عليه السلام وهم اعرف ما في البيت تشخص قتله الحسين عليه السلام جاء في الكافي للكليبي: سئل أبو عبد الله الصادق عليه السلام عن صوم يوم تاسوعاء فقال: «تاسوعا يوم حوصر فيه الحسين عليه السلام وأصحابه بكرلاء، واجتمع عليه خيل أهل الشام وأناخوا عليه، وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها واستضعفوا فيه الحسين عليه السلام وأصحابه وأيقنوا أنه لا يأتي الحسين ناصر ولا يمدده أهل العراق بأبي المستضعف الغريب». وجاء في أمالي الشيخ الطوسي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن صوم يوم عاشورا فقال: «ذاك يوم قتل الحسين فان كنت شامتا فقم» ثم قال: «إن لال أمية لعنهم الله ومن أعانهم على قتل الحسين من أهل الشام نذرا ان قتل الحسين عليه السلام وسلم من خرج إلى الحسين، وصارت الخلافة في آل أبي سفيان أن يتخذوا ذلك اليوم عيدا لهم يصومون فيه شكرا، فصارت في آل أبي سفيان سنة إلى اليوم في الناس، واقتدى بهم الناس جميعا لذلك، فذلك يصومونه ويدخلون على عيالاتهم وأهاليهم الفرح في ذلك اليوم».

٥ كان المنصور يدرك جيدا ان التهديد الأكبر لمشروع العباسيين ودولتهم الجديدة هو شيعة علي عليه السلام ومركزهم الكوفة بالأخص مع التفاهم حول الامنة والحديث والعلم عنهم، فحذا حذو الامويين في التصييق على اهل البيت عليه السلام ومواجهة اتباعهم. فقد دس المنصور السم للإمام الصادق عليه السلام واضطر الإمام الكاظم عليه السلام ان يخفي امامته سنين، كما انه عمد الى تشويه أخبار الوصية لعلي عليه السلام بانها من وضع يهودي من صنعاء اسلم اسمه عبد الله بن سبأ وعمد أيضا الى تشويه اخبار تاريخ وسيرة اهل البيت عليه السلام وان عليا لم يفلح في حكمه وحكم الحكمين وان الحسن عليه السلام باع الخلافة بدراهم الى معاوية وان الحسين عليه السلام اخطأ في اختيار بلد النصر فغدروا به وفي اصطحاب العيال وندم على ذلك يوم عاشوراء. واما مخطط المنصور لاتباع اهل البيت عليه السلام ومركزهم الكوفة فبالإضافة الى ملاحقة تلاميذ الامام الصادق عليه السلام ومحاولة تصفيتهم انتهج سياسة جديدة في الحيلولة دون تأثر المسلمين بهم عن طريق اتهام الشيعة بالكذب لضرب وثافتهم وابطال نقلهم للرواية وتشويه تاريخهم مع اهل البيت عليه السلام بوضع كلمات مكذوبة على لسان امير المؤمنين عليه السلام واتهامهم بالخيانة بالإمام الحسن عليه السلام وخداع الإمام الحسين عليه السلام والغدر به وقتله وسلبه وسبي عياله. وقد كرس أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي (ت ١٧٠هـ) كتبه حول مقتل الحسين عليه السلام وحركة التوابين وحركة المختار خدمة السياسة العباسية في تطويق اهل البيت عليه السلام واتباعهم. فهي تشوه الكوفيين وتجعلهم المسؤولين عن دعوة الحسين عليه السلام إلى الكوفة وعن خذلانه وقتله، وكذلك تشوه من سيرة المختار والتوار معه وتسميه التوابين ليكفروا عن خذلانهم للحسين عليه السلام في الوقت الذي كان هؤلاء في السجن، قبل مجيء الحسين عليه السلام نحو العراق.